وظائف المصدر ودلالاته في ضوء النص القرآني

الدكتور ولي بهاروند
أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة شهيد چمران أهواز، أهواز، إيران
v.baharvand@scu.ac.ir

A Study of the Motives and Implications of the Substitute Infinitive of its Conjugate in the Qur'an

Dr. Vali Baharvand
Assistant Professor of Arabic language and literature at Shahid Chamran University of Ahvaz , Ahvaz , Iran

الملخص:-

المصدر، لفظ يدلّ على القيام بعمل أو بيان صفة -دون الإشارة إلى شخص أو زمن أحيانا- مثل: القَتل، العَمَل، المكاتبة و...في اللغة العربية قد يخرج المصدر من هذا التعريف،و ينوب عن احد اشتقاقاته أو يحلّ محلّ أحد المصادر ذات الأصل الواحد و يقوم باتساع حقل المعني في ذلك الكلام.من الواضح أنّ هذا الاستخدام الافتراضي للمصدر اضافة على حفظ موسيقي الكلام،يثري المعني ايضا.تتمتع اللغة العربية من قوه وفيرة في مجال نيابة المصدر عن صيغة ذات الأصل الواحد.عندما لا يستقرّ المعنى في الظرف المحدد لصيغة، تتغيّر البنية و تبدو بشكل المصدر.قد ظهر هذا االفنّ بشكل رائع في القرآن،لأن التعبير عن المعاني العميقة لا يمكن بالبنية العادية.جدير بالذكر أنّ المصدر له علاقة وثيقة بفهم معاني الآيات القرآنية.لهذا، قام المفسرون بالبحث حوله و درسوا معانيه المختلفه و اسبابه الإعجازية في الآيات القرآنية.هذا البحث الذي يتّصف بالمنهج الوصفي-التحليلي يسعى لدراسة الدلالات و البواعث التي تسبّب نيابة المصدر بدل الصيغة ذات ألاصل الواحد في القرآن. إنّ هذه الدراسة تحاول ان تثبت انّ القاري يمكنه أن يدرك وجود نيابة المصدر بدل الصيغة ذات الأصل الواحد في ضوء سياق الكلام الذي أجمع القرائن اللفظية و المعنوية في بطنه. كما يوضح أنّ دوافع كالتعبير المتزامن لمعنيين لازم و متعديّ، وتوسيع حقل المعنى ومراعاة الفواصل في الآيات القرآنية قد مهّدت الطريق لنيابة المصدر بدلاً من الصيغة ذات الأصل الواحد في القرآن.تبين هذه الدراسة أيضًا أنّ خلق المبالغة والدقة في الوصف هو من الدلالات المهمّة لنيابة المصدر بدلاً من الصيغة ذات الأصل الواحد في القرآن.

الكلمات المفتاحية: المصدر، الوظائف، القرآن، الدلالة.

Abstract:-

Infinitive is a word refering to doing something or expressing a state - without referring to a person and sometimes a specific time, such as) Ghatl:قَتْل)، (Amal: عَمَل) and so on. In other words, the infinitive replaces one of its derivatives or replaces one of its conjugate infinitives and expands the shades of meanings in that word. It is obvious that this virtual use of the infinitive, in addition to observing and preserving the music of the word, enriches the meaning. It is worth mentioning that Arabic has an appropriate ability in the domain of substitute infinitive of its conjugate form.This manifestation and art is shown in a fine and wonderful way in the Qur'an, because with ordinary structures, a deep meaning cannot be clearly expressed.It is important to highlight that infinitive is closely related to understanding the meanings of Quranic verses. Therefore, the commentators have researched and analyzed its various meanings and miraculous implications in the Qur'anic verses. This study, which is descriptive-analytical,aims to analyze and examine the substitution of an infinitive instead of its conjugates in the Qur'an. This research shows that the reader in the light of the context of the word - which has gathered verbal or spiritual evidence - can recognize the infinitive as the substitute of its cognate. It also shows that motives such as expressing two transitive and intransitive meanings at the same time, expanding the shades of meanings and,observing the distances of Qur'anic verses have paved the way for the substitution of a infinitive instead of its conjugate form in the Qur'an. It also shows that creating exaggeration and accuracy in description is one of the important implications of substituting an infinitive instead of its regular form in the Qur'an.

Key words: infinitive, Qur'an, implications, function.

١ـ المقدمة

١- ١- بيان المسألة

المصدر هو ينبوع المفردات اللغة العربية التي ترعرعت و نمت في ضوئه هذه اللغة. الأساليب والمعاني اشتقت و أثمرت في ضوء هذه الكلمة. المصدر له علاقة وثيقة مع فهم معاني الآيات القرآنية. لهذا، قام المفسرون بالبحث حوله و درسوا معانيه المختلفه و دلائله الإعجازية في الآيات القرآنية. وجدير بالذكر أنّ المصدر ليس صيغة لا تدلّ على الزمن، بل هذه الكلمة تشير إلى الحدث والزمن المطلق، حيث يعيّن سياق اللغة في اكثر الاحيان زمانه في الجملة. بعبارة أخرى، في ضوء القرائن اللفظية أو المعنوية، يتعيّن زمنه في العبارة. كما قال ابن جني: "اعلم انّ المصدر كلّ اسم دلّ على حدث و زمان مجهول".(١٩٧٢م:١٣١). كما أنّ الزمن هو أحد العناصر المكوّنة للفعل،و يلعب هذا العنصر أيضًا دورًا مهمًا في تكوين المصدر، لأنّ المصدر أيضًا يدلّ على الحدث. قد ينوب المصدر حسب سبب محلّ أحد المصادر ذات الأصل الواحد أو محلّ أحد اشتقاقاته.جدير بالذكر أنّ أسلوب الكلام هو نتيجة الانحراف عن الوضع الطبيعي للغة، كلّ شيء يخرج من معيار اللغة العادي ويظهر بطريقة فنّية، يستحقّ الدراسة.للغة العربية قوه وفيرة في حقل نيابة المصدر بدلاً من صيغة أخرى.اذا لم يستقرّ المعنى في الظرف المحدّد لصيغةٍ، تغيّرت البنية و ظهرت بشكل المصدر.قد بدا هذا الفنّ بشكل رائع في القرآن، لأن التعبير عن المعاني العميقة لا يمكن بالبنية العادية.

المصدر، لفظ يدلّ على القيام بعمل أو بيان صفة -دون الإشارة لشخص أو زمن أحياناً- مثل: القَتل، العَمَل، المكاتبة و... في اللغة العربية قد يخرج المصدر من هذا التعريف، يعني أنّ المصدر ينوب عن احد اشتقاقاته أو يحلّ أحد المصادر ذات الأصل الواحد و يقوم باتّساع حقل المعني في ذلك الكلام.من الواضح أنّ هذا الاستخدام الافتراضي للمصدر، اضافة على حفظ موسيقي الكلام،يثري المعني ايضاً.

١-٢- أسئلة البحث والفرضيات

في هذا البحث، يحاول الباحث للإجابة على الأسئلة التالية:

١) ما هي دوافع اختيار المصدر بدلاً من أحدي الصيغ ذات الأصل الواحد في القرآن؟

٢) ما هي دلالات الكامنة في اختيار المصدر الذي ورد في القرآن بدلاً من احدي الصيغ ذات الأصل الواحد؟

- يبدو أنّ تعبير معنيين لازم ومتعدي، ومراعاة الفواصل في الآيات القرآنية من الدوافع المهمة لذكر مصدرٍ بدلاً من المصدر ذو الأصل الواحد.

- يبدو أنّ توسيع حقل المعنى و الدقّة في الوصف من دلالات المهمّة لنيابة المصادر في القرآن.

١-٣- اهداف البحث و منهجه

في هذا البحث الذي يتّصف بالمنهج التوصفي-التحليلي، يسعى الكاتب لدراسة الدلالات و الدوافع التي تسبّب نيابة المصدر بدل الصيغة ذات الأصل الواحد في القرآن.

١-٤-خلفية البحث

وبقدر ما بحث كاتب هذه الدراسة، فإنّ هذا الموضوع لم يبحثه أيّ شخص حتى الآن، ولكن موضوعات أخرى مع التركيز على المصدر تمت دراستها والبحث فيها من قبل بعض الباحثين، و نذكر هنا البعض منها:

١- المصدر المؤول واحكامه النحوية، فتحي احمدعبدالعال اسماعيل، المجلة العلمية في كلية اللغة العربية،العدد الثلاثون،الجزء الثاني،اكتوبر ٢٠١١م.

٢- المصدر في القرآن الكريم، ابوسعيد محمدعبدالمجيد وحيدي عبدالطيف، رسالة الدكتوراء في اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات العليا في الجامعة الاردنية،١٩٩٢م.

٣- دلالة المصدر في اللغة وصياغته و احواله واثره في الاسلوب،صلاح عبدالعزيز على السيد، الطبعة الأولى، مكتبة الرضا بطخا،١٩٩١م.

٤- المصدر بين الاسمية والفعلية،جاسم الحاج جاسم،مجلة الجامعة الاسلامية،ع ١٩، ٢٠٠٧م.

٥- اسم المصدر: المصطلح والدلالة،حنان حسن محمودسالم، رسالة الماجستير في اللغة و النحو،جامعة الشرق الاوسط،٢٠١١م

٢ـ دوافع المصدر ودلالاته في القرآن:

٢-١- التعبير المتزامن لمعنيين لازم ومتعدّي

في هذا الاستعمال، ينوب مصدر بدل مصدر آخر،على سبيل المثال، ينوب المصدرالثلاثي المجرد بدلاً من المصدر الثلاثي المزيد؛أي عندما يكون الأصل استخدام المصدرالثلاثي المزيد، لكن لسبب ما، يتمّ استعمال المصدر الثلاثي المجرد؛ مثل: ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾. (النساء/ ٦٠). والأصل في هذه الآية استخدام لفظ (إضلال)؛ لأنه مصدر لفعل (يضِلّ). بينما لفظ (ضَلال) كالمصدر الثلاثي المجرد حلّ محلّه. من الواضح أن لفظ (ضَلَال) يعتبر مصدر لفعل(ضَلَّ) الثلاثي المجرد. كما يقول الله تعالى: ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (النساء/ ١١٦). هنا يطرح هذا السؤال. ما هو سبب اختيار (ضلال) بدل(إضلال) في هذه الآية؟

في الآية المذكورة، تمّ استخدام معنيان مختلفان بالتزامن معا في المصدر الثلاثي المجرد؛ هذا يعني أنّ هذه الآية بُنيت بدلاً من عبارتين: ﴿يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُم﴾ و﴿يريدُهم بَعد ذلك أَنْ يضِلُّوا هُم بِأَنفُسِهِم﴾. ولهذا بدلاً من عبارة المذكورة،استخدمت عبارة ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ التي فيها نوع من الإيجاز. و من جانب، تدل على أنّ الشيطان يريد أن يُضلهم و من جانب آخر تدل على أنُ الشيطان يريد منهم أن يسبّبوا ضلالهم بأنفسهم ويتّخذوا الضلال البعيد (السامرائي ٢٠١٠، ج٢: ١٤٢).

وجدير بالذكر إلى أنه في مثل هذه الحالات التي لا يكون فيها المفعول المطلق مصدرا قياسيّا للفعل، يظهر المعنيان اللازم والمتعدّي في نفس الوقت في المصدر. في هذه الآية، لو تمّ استخدام كلمة (اضلال) - والأصل أيضاً هكذا- فهذا يعني أنّ الشيطان قد اضلّهم عن الصراط المستقيم، دون أن يكون لهم دور في هذا الضلال. حيث أن معنى المشاركة هو المراد الأساسي، هذا يعني أن الشيطان نفسه و إياهم متساهمون في هذا الضلال،استخدم المصدر الثلاثي المجرد. من الواضح في ضوء هذا النمط اتّسع مدى المعنى اتّساعاً ملحوظاً.

وفي الآية الأخرى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ (آل عمران /٣٧).

يقول الله تعالى في مدح العذراء مريم: ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾. بينما يستند القياس على استخدام كلمة (إنبات). ولكن للإشارة إلى ملاحظة و معنى عميق، فإن المصدر الثلاثي المزيد قد أفسح المجال للمصدر الثلاثي المجرد.في هذه الآية، الغرض الرئيسي هو أن الله أنبت السيدة مريم عليها السلام نبتا حسناً، و قبلت السيدة مريم عليها السلام هذا الإنبات ونشأت بطريقة طيبه واتبعت أمر باريها. لذلك، بما أن الله أراد أن ينسب منقبةً للسيدة العذراء مريم عليها السلام وأن يعرض تفوقها،جاء بالمصدر بشكل ثلاثي مجرد. (السامرائي، المصدر السابق)

لذلك، يمكن القول أنّ هناك معنيين مستترين في كلمة (نبات): أحدهما أن الله أكتنف السيدة مريم عليها السلام بعنايته والاخري هي أنّ السيدة بنفسها اهتمّت بأمر تربيتها و نموها. ومع ذلك، لو استخدم المصدر على شكله الأصلي، لدلّ على أنّ الله سبحانه و تعالى قام بتربية السيدة و نموها، دون أن يكون لها دور. بتعبير آخر، تشير كلمة (نبات) في الآية المذكورة إلى الدور المشترك لله و للسيدة في أمر الإنماء والتربية. اضافة لذلك فإن تفوّق السيدة تجلّي أيضًا في هذه الآية بنفس المصدر.

وأيضًا مثل: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ (البقرة/ ٢٤٥)

في هذه الآية،القياس هو استخدام مصدر الثلاثي المزيد (إقراض)، بينما استخدم المصدر الثلاثي المجرد(قرض).ولا شك في هذا الاختيار ملاحظة عميقة تستدعي انتباه القارئ. في هذه الآية، يدلّ لفظ (قرض) الذي تجلى في دور (المفعول به) مرة على معنى (المال) ويدلّ على أنّ ذلك المال يجب أن يكون طاهرا وحلالا ومن جانب آخر يشير لالي معنى(إقراض) و هو (المفعول المطلق) ويدلّ على أنّ النيّة في ذلك القرض يجب أن تكون بلامنّة و رياء. (أبو حيان الأندلسي، ١٩٩٢م،ج ٢، ٢٥٢). بالتأمل في هذه الآية يمكن القول أنه تم تصوير معنيين مختلفين تزامناً باستخدام لفظ (قرض) بشكل رائع. واضح لو استخدم (إقراض) - كالمصدر القياسيّ لفعل(يقرض) - لدلّ على معنى واحد. - وهو القرض بنيّة طاهرة و بدون رياء -بينما أنّ الغرض من استخدام لفظ (قرض) في هذه الآية الإشارة لمعنيين تزامناً.

وجدير بالذكر في مثل هذه البنية، حيث حلّ المصدر الثلاثي المجرد محل المصدر الثلاثي المزيد، يجب ترجمة هذا المصدر بشكل صحيح. وهذا الموضوع مهم بشكل خاص فيما يتعلق بالتعابير القرآنية.لأنّ المترجم يجب أن يدرك هذا التغيير ويختار الترجمة المناسبة لمثل هذا المصدر.من الموسف انّ ملاحظة ذلك لم تتمّ في معظم الترجمات الفارسية للقرآن الكريم، وتتم ترجمة الثلاثي المجرد كالمفعول المطلق، بينما هذا النصف من الترجمة هو المصدر والنصف الآخر يجب إضافته بظرف في الترجمة. و بالدقة في ما قيل، يمكن الاستنتاج أنّ نيابة المصادر بدلاً من بعضها البعض لم تكن فقط بسبب التنوع، بل احوال الكلام تتطلب طريقة النيابة هذه. كما يوجد في الآية التالية نوع من النيابة:

﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ (الكهف/٥٩)

ويمكن أن نلاحظ في هذه الآية أنّ نوعاً من الاستبدال قد حدث فيها، بحيث استبدلت كلمة (مَهلِك) كالمصدرالميمي كلمة (اِهلاك) التي هي المصدر الثلاثي المزيد. هنا يطرح سؤالان:

١- كيف ندرك أن كلمة (مَهلِك) قد حلّت محل كلمة (اهلاك)؟ بعبارة أخرى، أيّ قرينة تدلّنا على هذا الاستبدال؟

٢- ما هو الدافع للخروج من الأصل؟

يقول الزمخشري: ((وَ ضَرَبنا لإهلاكهم وَقتاً مَعلوماً لا يتأخَّرونَ عنه..... و المَهلِك: الاهلاك و وقته)).(١٩٨٧، ج ٢: ٥٩٥). هنا القصد من هذا الإستبدال أنّ الله سبحانه وتعالى يهلك الظالمين في موعد معيّن. بعبارة أخرى، حدّد الله موعد هلاكهم في وقت معيّن.الآن لو استعملت كلمة (إهلاك) بدل كلمة (مَهلِك) التي هي المصدر الميمي، لجُهل موعد هلاك الظالمين وما كان المعنى ليُنقل بدقة.

في هذه الآية، الفعل (أهلك) هو استعارة تقودنا إلى عملية النيابة، لأنّ مصدره القياسي، أي (اِهلاك) يجب التعبير عنه بدلاً من (مَهلِك). و جدير بالذكر أنّ الدافع لهذا النوع من الاستخدام هو التعبير عن دقة المعني وتحديد الزمن المحدّد.بعبارة أخرى، يصوّر المصدر الميمي هنا الموعد و الزمن المعلوم، بينما في كلمة (أهلك) - كمصدر ثلاثيّ مزيد

ومصدر قياسيّ - لا يتمّ التعبير عن مثل هذه الدلالة. كذلك يمكن القول في هلاك و إبادة هولاء الظالمين كان الدور لله و لهم ايضا، هذا يعني أنّهم مهّدوا لهلاكهم على يد الله سبحانه وتعالى. بعبارة اخرى، هنا اجتمعت "الهلاك" و "الإهلاك" في مصدر "مهلك".

٢-٢- توسيع دائرة المعنى و التعبير عن المبالغة في الوصف

شغل هذا النمط من أنماط التناوب حيزا كبيرا في استعمال المصدر في القرآن الكريم؛ فقد ورد ما يقرب من تسعة وثلاثين موضعا، جاء في واحد وثلاثين منها معرضا عن اسم الفاعل إلى المصدر، وفي ثمانية منها معرضا عن المصدر إلى اسم الفاعل. ورد العدول عن اسم الفاعل إلى المصدر في القرآن الكريم في نمطين:

الأول: أن يؤتى بالفاعل على لفظ المصدر.

والثاني: أن يعدِل السياق اللغوي عن التعبير باسمِ فاعلٍ مقدمٍ إلى التعبير بالمصدر.

فإن الانتقال بالمصدر من دلالته الوضعية إلى دلالة أحد المشتقات يجعله ذا قدرة على العطاء الدلالي الرحيب، من خلال خرقِه للنسق اللغوي المألوف، وكسرِه لافق التوقع لدى المتلقي. ومن ثم فإن الاسلوب العدولي هو طريقة التعبير التي تنحى بالمصدر من دلالته الوضعية المألوفة والموافَقة للصحة اللغوية إلى دلالته الفنية ال قائمة على مجاوزة المألوف، والتي يقتضيها السياق والنظم بما يشتمل عليه من قرائن، وهي تلك الدلالة التي لم يكن للكلام أو التعبير أن يستقيم بدونها.

في بعض الأحيان، من أجل توسيع عالم المعنى والتعبير عن المبالغة، ينوب المصدر بدلاً من أحد مشتقاته، مثل: ﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ (البقرة /٢٦٠)، ونجد في هذه الآية الكريمة أنّنا نواجه نوعاً من الاستبدال.لأنّ القياس يقودنا إلى استخدام كلمة (ساعيات) كاسم الفاعل و دور الحالية.هذا بينما تمّ استبدال كلمة (سعياً) - كمصدر و دور المفعولية المطلقة - ويبدو أنّ هناك أمراً مهماً أصبح سبب هذا الاختيار. مما لا شك فيه أنّ هناك دافعًا في حقل نيابة المصدر بدلاً من الحال. والواضح أنّ المصدر أحيانًا ينوب عن اسم المشتق لسبب ما و يصبح له أكثر من معنى واحد، في الآية المذكورة، الهدف هو أن يُجمع معنى المصدرية والحالية في كلمة واحدة تزامناً. لذلك، تشير الآية من جهة إلى أنّ الطيور تطير نحو

إبراهيم عليه السلام بسرعة بالغة. ومن الجدير بالذكر، من هذا المنظر،كان المهمّ حالة سيرهم. من ناحية أخرى، تدلّ الآية أنّه عندما دعا إبراهيم تلك الطيور، وجدها على الفور وفي بغتة. مما لا شك فيه، من هذه الجهة، كان الهدف التركيز على الفعل.من حيث المجموع، يمكن القول أنّ اختيار المصدر بدلاً من الصفة له سببان:

١- المبالغة: كما نعلم، فإن المصدر يدلّ على القيام بعمل أو التعبير عن صفة - دون شخص وأحيانًا زمن - بينما الصفة يأتي معها الموصوف والقيام بعمل أو التعبير عن صفة معها. لذلك، عندما يأتي مصدر لوصف اسمٍ؛ كأنما يختفي ذلك الاسم بأكمله في ذلك المصدر ولم يترك أي أثر له كاسم.لذا، تتجلي المبالغه بوضوح في التعبير المصدر.على سبيل المثال،في الآية المذكورة،(سعياً) كمصدر،يدل على المبالغة بوضوح بشكل كأنما تلك الطيور قد اختفت في المصدر ولم يبق لها أثر؛ كأنما تحولت إلى السرعة وظهرت عند النبي ابراهيم في طرفة عين. من الواضح أنّ هذا النوع من التصوير - الذي تم بمساعدة استخدام المصدر - يضاعف عملية المبالغة.

٢- توسيع حقل المعنى: الغرض الآخر من اختيارالمصدر بدلاً من الصفة هو توسيع حقل المعنى؛ هذا يعنى إذا استخدمت (صفة)، فإنها تدل على معنى واحد ولا تتجاوز من هذا المعنى. على سبيل المثال، إذا استخدمت كلمة (ساعيات) في الآية المذكورة، ففهم معنى (الحالية) فقط وما حصل غير ذلك معنى؛لأن الصفة المذكورة تشير بوضوح إلى دور "الحالية" ولا يمكن ترسيم دور آخر لها. ومع ذلك، إذا حلّ المصدر بدلاً عن الصفة لسبب ما، تزامناً مع هذا الدوران والاستبدال، فإن حقل المعنى يتوسع أيضًا. بتعبير آخر،يشتمل المصدر على أكثر من دور واحد في نفس الوقت،كما أنه يتضمن أكثر من معنى واحد في نفس الوقت.فإذن، كلمة (سعياً) في الآية المذكورة التي حلّ بدل كلمة(ساعيات)،جمعت في نفسه معنى الحالية والمفعولية المطلقة. أسلوبٌ مثل هذا يؤدي إلى التأكيد في الكلام، والإيجاز والإختصار واتساع حقل المعنى.

بهذا الوصف،يجب أن يلاحظ بأنّ في كلمة(سعياً) في الآية المذكورة تظهر الطيور بسرعة وعلى الفور أمام النبي الإبراهيم. ومن الطبيعي أن يضاعف هذا النوع من

الإستخدام لثراء المعنى، وجدير بالذكر أنّ القياس في الحال المفردة هو أن تظهر كصفة مشتقة، ولكن أحيانًا تتجلي هذة الظاهرة على شكل المصدر. وجدير بالذكر أنّ ذكر المصدر بدلاً من الصفة كحال جائز؛ لأنه،كما قلنا،فإن القياس في الحال المفردة هو أن يقوم على الوصف المشتق، يمكن الاستنتاج على العموم مما قيل:أنّ الكلمة قد تظهر في دور ومعنى واحد و قد يتجلي في دور ومعنى آخر.من الواضح أنّ مثل هذا الأمر يكسر الشكل المحدود للمعنى ويفتح آفاقًا جديدة في المعنى.من الواضح وجود أكثر من الوجه الإعرابي الواحد يسبّب ازدياد المعاني.لأنه يتم أيضًا الحصول على وجوه مختلفة من المعنى بتناسب الوجوه الإعرابية المختلفة.

كذلك بعض الأحيان،بسبب دافع ما، يتم تحويل الاسم الفاعل إلى مصدره؛ هذا يعنى لسبب، ينوب المصدر بدلاً من اسم فاعله. مما لا شك فيه أن هذه الطريقة من النيابة لها تأثير في توسيع حقل المعنى. الان نقوم بالتطرق في هذه الطريقة من النيابة:

تقول الخنساء في بيت:

تَرْتَــعُ مـــا رَتَعَـــتْ حــــتى إذا إدّكَـــرَتْ   فَإِنّمـــــا هِــــي إقبـــــالٌ وَإِدبـــــارُ

(سيبويه، (د.ت)، ج١: ٤٠٠)

- تلك الناقة وقت الرعي ترتع ولاتبالي ولكن عند ذكر ولدها تضطرب كثيرا.

بالتركيز على هذا البيت، نرى أنّ المصدر جاء بدلاً من اسم فاعله. وهنا كلّ من مَقْبّلٌ ومُدْبِرُ - وهما اسما الفاعل الثلاثي المزيد من باب اِفعال- خرج من مصدره القياسي، وهما اِقبال وإِدبار. هنا يطرح سؤالان مهمان حول بيت الشعر المذكور و يحتاجان إلى دقة وتركيز. و هما:

١- كيف يمكن إثبات وقوع عملية استبدالية في المصدرين(اِقبال) و (اِدبار)؟

٢- ماهو الدافع للنيابة في هذين المصدرين؟

كما نعلم، انّ المصدر لفظ يدل على حدث مطلق. لذلك، لا يمكن اختياره خبراً لاسم الذات.في سبيل المثال، لا يمكن أن نقول:(محمد بُكاءٌ) و (زيدٌ ركضٌ)؛ لأن محمد ليس بكاء و زيد ليس ركضاً،حيث اننا احياناً نواجه مصادر في مكانة الخبر و تسند الى المبتدا الذي هو

اسم الذات. فلذا في البيت المذكور إسناد المصدرين (إقبال و إدبار) إلى ضمير (هِيَ) -الذي يعود مرجعه إلى (الناقة) - دليل على أنه في هذين المصدرين حدث نوع من الاستبدال. لأن إستناد المصدر إلى اسم الذات هو إسناد مجازي حدث لغرض خاص. للإجابة على السوال الثاني يجب القول بأنّ (الدافع لتغيير الشكل في هذا النوع من الخبر - الذي أسند المصدر إلى اسم الذات -هو بيان المبالغة في الكلام. بتعبير آخر، يعتبر اسم الذات حدثًا مطلقاً.في البيت المذكور تحوّلت كلمة (الناقة) الى عمل مطلق؛ بحيث لا يمكن العثور فيها على أيّ من عناصر اسم الذات؛ كأنها تحوّلت بالكامل الى(إقبال وإدبار). (السامرائي، المصدر السابق، ج١: ١٧٦).

كذلك توجد هذه النظرية أنّ بسبب حدوث عملية (إقبال وإدبار) من تلك الناقة بصورة متداولة، كأنها أصبحت جزءاً من كيانهما و استخدم المصدر بدلاً من اسم الفاعل (المبرد،١٣٨٦هـ، ج ٣: ٢٣٠). دراسة النظريات المذكورة تمكننا أن نقول انّ سبب الانحراف عن (مُقبِل و مُدبِر) إلى (إقبال وإدبار) هو قصد المبالغة.حيث أنّ الشاعر أراد أن يبين تلك الناقة لا مثيل لها في السرعة،حيث كلّما تراها،تخطر السرعة والعجلة في بالك.الآن، إذا استخدمت نفس الصيغ (مُقبل و مُدبِر)، لما كان هناك تغيير في الكلام ولا مبالغة،لأن هاتين الصيغتين استخدمتا بمعناهما الحقيقي وإسنادهما إلى المبتدأ في الحقيقة إسناد عقلاني. لذلك قرر الشاعر أن يتجاوز عن هذا الوصف العادي ويصوّر تلك الناقة وكأنها مخلوقة من مادة السرعة والعجل. من الواضح أنّ القارئ يعْجَبُ بمثل هذه الصورة ويجد الحيوان اعلى من جنسه.و كذلك في عبارة (إمرأةٌ عَدْلٌ)، حلّ المصدر بدلاً عن الصفة، كما نعلم لا يجوز هنا استخدام المصدر، لأن المصدر يدلّ على اسم المعنى ولا يدلُ على اسم الذات. لهذا المصدر الذي يستخدم صفة يبرر بإحدى الطرق الثلاث التالية:

١- كان قبل المصدر مضاف تمّ حذفُه، هذا يعني أنه حذفُ المضاف و حلّ المضاف اليه بدلاً منه. لذلك، تركيب (إمرأةٌ عَدْلٌ) كان في الأصل (إمرأةٌ ذاتُ عَدْلٍ). (ابن عقيل ١٣٨٣هـ ج٢، ١٨٦).

٢- جيء بالمصدر الذي يدلّ على الحدوث والعمل، لكن أريد منه مشتق يدلّ على اسم الذات، بعبارة أخرى، حلُ المصدر بدلاً من اسم الفاعل. لذلك، في المثال المذكور، استخدم (عدل) بمعنى (عادل) (السامرائي، الجملة العربية والمعنى، ٢٠٠٠م: ٢٠٩).

٣- جيء بالمصدر بصفة اسم المعنى لغرض خلق المبالغة بدلاً من اسم الذات. (نفس المصدر، معاني الأبنية، ١٩٨١م: ١٢٣).

مما قيل، يمكن الملاحظة أنّ كلّاً من النظريات المذكورة حول المصدر الذي في مكانة الصفة يستحقّ التأمل. على سبيل المثال، تبدو انّ النظرية الّتي تعتقد انّ "المصدر"حلّ عن مضافه المحذوف ضعيف و متهاون، لأنه ليس من الضروريّ حذف المضاف في مثل هذه التراكيب. لهذا فهذه النظرية ليس لها قيمة عقلية ثابتة، وكذلك النظرية التي هي قائلة بنيابة المصدر بدلاً من اسم الفاعل تبدو أقوي منطقا بالنسبة إلى النظرية الأولى، لأنه أحيانًا من باب المجاز لسبب لفظي أو معنويّ، مثل المبالغة، ينوب المصدر عن اسم الفاعل. امّا النظرية الثالثة القائلة بوجود أمر المبالغة المعنائية في مثل هذه تراكيب، لابالنيابة الإشتقاقية و لابوجود الحذف في التراكيب، تعتقد أنّ الموصوف في ذلك الوصف المصدري وصل إلى أعلي نقطة بحيث يبدو مخلوقاً من نوع ذلك المصدر. من الواضح أنّ طريقة التعبير هذه يمكن أن يكون لها تأثير عميق على نفس الشخص، لذلك فإنّ النظريتين الثانية والثالثة متطابقتان مايقارب من حيث الهدف. لأنّ دافع كل منهما نوع من المبالغة، بينما شدّة المبالغة في النظرية الثالثة أكثر بكثير من النظرية الثانية.

و جدير بالذكر وفقا للنظرية الثانية انّ السبب المعنوي للخروج من اسم الفاعل إلى مصدره هو المبالغة، لأنه لايتجاوز الكلام من مستواه العادي بذكر اسم الفاعل، و يودّي كسر هذا المستوي العادي إلى التعبير عن الوصف في شكل بديع. لا شك أنّ هذا الشكل الجديد و البديع هو صيغة المصدر. على سبيل المثال، عندما نقول: (رَجُلٌ عَدْلٌ)، كأنما ذلك الرجل يوصف بالعدل ولا يشمل الآخرين. من الواضح أنّ الاستفادة من مثل هذه الأساليب في الوصف يهدف إلى تجليل الموصوف والتأكيد على صفته، الصفة التي لا يتّصف بها أحد غيره.

كذلك، أحيانًا لسبب ما، يحلّ المصدر محلّ الاسم المفعول؛ وهذا يعني أنّ الاسم المفعول يفسح المجال للمصدر. مما لا شك فيه أنّ طريقة النيابة هذه أيضًا تؤثر في توسيع حقل المعنى. الان ندرس نموذجاً من معالجة هذه العملية في القرآن.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران/٩٦)

بالتأمل في هذه الآية نجد أنّ نوعاً من الاستبدال قد حدث فيها؛ هذا يعني أنّ كلمة (هُدَى) مع عطفه على لفظ"مُبارك"، لم يستعمل بصيغة الاسم المفعول. بتعبير آخر، خرج سياق الكلام من العطف و فام بتفضيل المصدر(هُدَي) على الاسم المفعول (مَهدياً به)، و هنا يطرح هذا السؤال على أنه ما السبب لاختيار"هُدَي"مصدراً بدلاً من لفظ"مَهدياً به"و هو الاسم المفعول في الآية الشريفة؟

يعتقد الباحث بما أنّ الغرض الأساسي هو خلق المبالغة في وصف الهداية لبيت الله، تمّ استخدام المصدر (الهدى)؛ لأن المصدر بسبب المبالغة في الوصف، يغرق الموصوف في نفسه. في هذه الآية الشريفة، يرينا لفظ(هُدَى) - وهو مصدر- أنّ بيت الله ليس (هادياً) ولا (مَهدياً به)، بل هو الهداية نفسها. من الواضح أنّ هذه الطريقة في استخدام المصدر تزيد بشكل كبير من مقدار المبالغة في الكلمة. كما قُلنا في السابق، المصدر لفظ يدلّ على القيام بعمل أو بيان وصف-دون شخص أو أحيانا دون زمن- لذلك، بما أنّ (الزمن) هو أحد أسس الاسم المفعول، فلم تستعمل في هذه الآية هذه الصيغة؛ لأنه إذا تمّ استخدام الإسم المفعول (المهدياً به)، فإنّ هداية بيت الله اقتصرت على فترة زمنية معيّنة ولم تشمل الأبعاد المختلفة للزمن، بينما في هذه الآية، القصد هو أنّ الهداية التي تم الحصول عليها من خلال الكعبة المشرفة يمكن القول أنها استوعبت الزمن من المشرق إلى المغرب، أي أنّ ذكر المصدر نقل مفهوم هداية الكعبة المشرفة من فترة محدودة إلى جميع فترات الزمن.

يمكن القول على العموم أنّ إحدى الطرق الشائعة للمبالغة هي استخدام صيغة المصدر بدلاً من أحد اشتقاقاته؛ لأن ذكر كلمة المشتق يعبّر عن معناها الحقيقي ولا يتعدّى المستوى العادي. علاوة على ذلك، فإن ذكر المصدر في هذه النيانة يرفع المعنى إلى قمة المبالغة؛ بحيث لا يمكن هذا الأمر باستخدام مشتق آخر. في الآية السابقة، ما ذُكر اسم المفعول(مهدياً به) لأنه عند التعبير لا ينقل معنى المبالغة ولا يجذب انتباه المتلقي، لكنّه يعبّر وصفاً بشكل عادي حول موصوف ما. من الطبيعيّ أنّ تجليل هذة الصفة للكعبة يجب أن يكون بالشكل الذي تستحقه. من الواضح أنه يمكن تحقيق ذلك بإستخدام المصدر.

من الواضح أنّ ذكر المصدر هو الذي يجعل الكعبة معبداً وحيداً للهداية للعالمين: المعبد الذي يختلف عن المعابد الأخرى في العالم. بتعبير آخر، انّ المعابد الإلهية الأخرى

تكون هادية حيث أنّ الكعبة نفسها مطلق الهداية. كأنما هي المعبد الوحيد الذي خُلق لهداية وتوجيه البشر. و جدير بالذكر أنّ هناك ملاحظة مهمّة و اهتمام ملحوظ في كلمة (هُدَيً)، و هو تعبير استُخدم مجازا. وهذا يعني أنّ (الكعبة) هي سبب الهداية و ليست الهداية بنفسها، ولكن في هذه الآية ذُكِر (المسبّب) و المراد هو (السبب). وبتعبير آخر، هو مجاز مرسل بالعلاقة المسبّبية التي ذكر للمبالغة و تبيين مفهوم الهداية. من الواضح أنّ هذه الطريقة من المجاز التي تمّت بمساعدة المصدر بيّنت "بيت الله" -و هو اسم الذات - في ثوب" هُدىً"-و هو اسم المعنى. هذا التصوير لاسم الذات في ثوب اسم المعنى يصوّر حقل المبالغة خارج حدوده. و جدير بالذكر إلى أنه إذا لم تكن هذه الطريقة من التصوير لبيت الله، لما تميّز هذا المكان المقدس من حيث الهداية و ما تجاوز حدود معبد العادي. بينما أنّ خروج كلمة(مهدياً به) - وهو الاسم المفعول - إلى كلمة (هُدَىً) - وهو مصدر - بين صورة أوسع من معبد عادي لبيت الله.

إن الآية الكريمة ترسم حالين مقارنين لأول بيت وضع للناس، وآثر التعبير القرآني إبراز هاتين الحالين في صيغتين مختلفتين، الحال الأولى: "مباركا" بصيغة اسم المفعول، والحال الثانية: "هدى "بصيغة المصدر. وانتصاب "مباركا" على الحال ظاهر، وأما " هدى " فظاهره أنه معطوف على "مباركا" والمعطوف على الحال حال. وبحكم قانوني الجوار والعطف اللذين يرجحان تماثل الصيغ كان السياق اللغوي يقتضي أن يكون التعبير: "مباركا ومهديا به "، أو "بركة وهدى "، لكن الأسلوب القرآني عدل عن أن ينتظم النسق اللغوي باسمي المفعولين (مباركا ومهديا) أو بالمصدرين (بركة وهدى)، وآثر هذا التعبير أن يكون باسم المفعول معطوفا عليه المصدر وذلك لغاية يتطلبها السياق.

ولعلَّ المتأمل يجد أن اختيار ا لتعبير باسم المفعول "مباركا " في تحديد ملامح الحال الأولى لأول بيت وضِع للناس يسلط الضوء على الحدث مصحوبا بمن وقع عليه فعل الفاعل؛ وإذا كان من شأن صيغة اسم المفعول أن تدل على الحدث - وهو البركة - وربطِه بذات المفعول - أي بأول بيت وضع للناس وهو بيت الله الحرام - فإن من توابع هذه الدلالة أن تلفتنا هذه الصيغة إلى مصدر هذه البركة؛ إذ إن هذا البيت مبارك من الله - سبحانه- ثم ممن وضعوا قواعده ورفعوها وهما إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ثم ممن وضع حجره

الأسود. وبهذا تكون هذه الحال مكتسبة. وقد تكون ذاتية؛ أي قد تكون هذه البركة لما يحصل في هذا المكان من الثواب، وتكفير السيئات لمن حجّه. وا عتمره، وطاف به، وعكف عنده، أو قد تكون بركته لدوام العبادة ولزومها (ابوحيان الأندلسي، ج ٨: ٣). وسواء أكانت هذه الحال مكتسبة أم ذاتية. فإن التعبير عنها بصيغة اسم المفعول يدلّ على إظهار الحدث مرتبطا بذات المفعول ومشيرا إلى مصدره، وهو ما لم يدلّ عليه التعبير بالمصدر.

وبعد أن تحققت هذه المعاني بصيغة اسم المفعول عدل ا لتعبير القرآني إلى المصدر "هدى" بعطفه على اسم المفعول "مباركا"؛ وذلك لإرادة معنى جديد لايفي به التعبير باسم المفعول؛ إذ إن العدول عن اسم المفعول إلى الوصف بالمصدر لا يكون إلا على سبيل المبالغة، فالتعبير بالمصدر يصرف الذهن إلى مطلق الحدث دون تقييده بزمان أو مكان أو فاعل أو مفعول، وقد دلّ التعبير بالمصدر هنا على أن البيت الحرام ليس هاديا ولا مهديا به فحسب، ولا موضعا للهداية فقط، وإنما هو عين الهداية وسبب لها، وكأنه قد تجسم منها، ولم يكن له حال غيرها.

و كذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة /٩٧).

جاءت هذه الآية بالخروج في التعبير عن اسم الفاعل المقدم إلى المصدر، بعد تحويلات عن البنية العميقة التي يفترض أن يكون التعبير فيها: مصدقا وهاديا ومبشرا أو تصديقا وهدى وبشرى. وهذا الافتراض مبني على قانوني الجوار والعطف اللذين يرجحان تماثل الصيغ وتوافقها في السياق الواحد. ومن ثم لا بد من مبررات لهذا المسلك العدولي، ففي هذه الآية، جاءت كلمة "مصدقا " بصيغة اسم الفاعل، والمعنى على ذلك أنّ القرآن - إذا سلمنا بعود الضمير في(نَزَله) على القرآن-جاء مصدقا للكتب السابقة كالتوراة والإنجيل، ومن ثمّ فاختيار التعبير باسم الفاعل جاء موحيا بالإخبار، أي أنّ القرآن مخبر بصدق غيره من الكتب السماوية. وعدل عن دلالة اسم الفاعل (مصدقا) إلى دلالة المصدر (هدى وبشرى)؛ لأن التصديق نابع من القرآن ذاته، فهو المخبر بصدق غيره من الكتب كما سبق، أما الهداية فلم تكمن في القرآن؛ لأنها متعلقة بيد الله سبحانه. ومن ثم جاء التعبير عنها بما يدل على الحدث ذاته دون تقييد بفاعل أو مفعول أو زمان أو مكان، عطفت عليها البشارة

بصيغة المصدر أيضا لأنها مترتبة عليها. وربما يكون ذلك كله للمبالغة؛ أي أنّ القرآن هو نفس الهدى والبشارة، أو كأنه قد تجسم منهما لغلبة هذين المعنيين عليه.

وفي هذه الآية ايضاً حلّ المصدر بدلاً من اسم الفاعل: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا...﴾ (يونس/٥).

بالنظر إلى هذه الآية يمكن القول أنّ كلمة(ضياء)جاءت بدلاً من (مضيئة) وكلمة (نوراً) بدلاً من (منيراً). لا شك ان يوجد دافع خلف كواليس هذه النيابة حيث سبّبت اختيار مثل هذين اللّفظين. المبالغة في كبرياء وجلال هاتين الآيتين و دلالتهما على قدرة الباري الفائقة هي سبب هذا الانحراف من الأصل. و جدير بالذكر أنّ ألفاظاً مثل(سراج)و (ضياء) جاءت بدلاً من الشمس و تدلّ على الضوء الشديد و الساطع. كما أنّ كلمات مثل"نور"و "منير"جاءت ايضاً للدلالة على"القمر" و تدلّ على "الضوء القليل". بما أنّ حياة جميع المخلوقات تعتمد على النور والحرارة فقد وفّر الله هاتين الحاجتين من خلال (الشمس) و (القمر)، وفي هذه الآية إذا تم استخدام كلمة (ضياء) بدلاً من كلمة (مضيئة)، لما تجلّت أي المبالغة في الكلام، لأنّ الشمس صُوّرت مصدراً بجانب سائر المصادر، و لم يتجّل خالقها أيضا عظيما، حيث أنّ كلمة (ضياء) تشير أيضًا إلى أنّ الشمس هي المصدر الوحيد و عرف خالقة عظيما و لا شريك له. كما أنّ استخدام كلمة "نور" بدلاً من كلمة "منير" قد جعل القمر مصدراً وحيداً للإضائة في العالم. و جدير بالذكر لو استخدمت كلمة "منير"، لظهر القمر بجانب سائر المصادر المضيئة ولم يُعتبَر له ولخالقه عظمة ومجد، كذلك أنه في الآية التالية حلّ المصدر بدلا عن اسم فاعله:

﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الاعراف/٥٦)

في هذه الآية تم استبدال الكلمتين (خوفاً) و (طمعاً) بدل(خائفين) و (طامعين). ولا شك أن هناك دافعًا مهمّاً أدّى إلى تمهيد هذا النوع من الاستبدال، و كلّ من هذين المصدرين جاء بمعاني (الحالية) و(المفعولية المطلقة) و(المفعولية له) تزامناً، بعتبير أخر، تمّ توسيع الحقل لمعنى هذين المصدرين وأخذت معاني مختلفة في ضوئهما، وفي هذه الآية قام المصدر بتصوير المبالغة و الدقّة في المعنى. لو استعمل هنا (خائفين) و(طامعين) بدلاً من (خوفاً) و(طمعاً) -

وهما مصدران -، لتبين معنى (الحال) ولا يتجاوزه. بينما يجبُ على الشخص أن يدعو ربه بخوف ورجاء وأيضا من أجل الخوف والرجاء. كذلك أدّى استخدام صيغة المصدر في هذه الآية إلى عملية الإيجاز، وحصلت معان كثيرة في ضوء استخدامه.

ومما ورد من نماذج ندرك مدى الاشتراك بين المصدر والصيغ الصرفية الأخرى مما يجعل التناوب بينها أو الخروج عن صيغة إلى أخرى أمراً جائزاً لغوياً، لكنه انحراف يلجأ إليه اعتباطاً وإنما لغايات بلاغية يقتضيها السياق والمقام. ومن صور الخروج إلى المصدر في العربية استعمال المصدر بمعنى اسم المفعول، قال سيبويه: "العرب تقول في اللبن حلب ومجازه (محلوب) وهذا الدرهم ضرب الأمير ومجازه (مضروب الأمير) أو كقولهم الخَلق ومجازه (مخلوق)"(المصدر السابق: ٤٣).

ومن نماذج هذا العدول قوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام:

﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ (يوسف/ ١٨)

الانحراف في قوله (كذب) أي: مكذوب، فوصف الدم بالكذب مبالغة في ظهور كذبهم في دعوى أنه دمه، حتى كأنه هو الكذب بعينه. والكذب (مصدر) سد مسدّ اسم المفعول (مكذوب) للمبالغة وفي ذلك يقول الزمخشري: "(بدم كذب) أي: ذي كذب، أو وصف بالمصدر مبالغة كأنه نفس الكذب وعينه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه، والزور بذاته" (المصدر السابق، ج ٢: ٣٠)وقال الزركشي: " بدم كذب أي: مكذوب فيه، وإلا لو كان على ظاهره لأشكل، لأن الكذب من صفات الأقوال لا الأجسام". (د. ت، ج ٢: ٢٨٨) فقد دلّ المصدر على الموصوف بالحدث هو اسم المفعول الذي أدى المصدر معناه و وظيفته.

ومن هذه النماذج في قصص القرآن خاصة لفظة (غور) في قصة صاحب الجنتين وحواره مع رجلٍ مؤمنٍ في سورة الكهف قال الله على لسان مؤمن ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾ (الكهف /٤١)، فقد جاءت في (لسان العرب (غورا) بمعنى (غائراً)، والإخبار به من باب الوصف بالمصدر للمبالغة. ومعنى (الغور) في اللغة المنهبط من الأرض، (ابن منظور، مادة (غ و ر).)، ثم استعمل في كل ما انخفض، وكل استعمالات مادة (غور)

يلحظ فيها معنى الانخفاض وهو الذهاب سفلاً. وتكاد كلمة المفسرين تجتمع على أن الخروج إلى المصدر (غوراً) والوصف به بدلاً عن اسم الفاعل (غائراً). غايته المبالغة في الوصف، وكأن الماء صارت حقيقتة (غورا). (الطبرى، ١٩٧٨، ج ١٠: ٢٢٥)، ولتحقيق المبالغة جعل نفس المصدر، فقال (غوراً) أي نازلاً في الأرض بحيث لا يمكن نيله بنوع حيلة، فهو غائرمنقطع ذاهب لا تناله الأيدي ولا الدلاء (البغوي، ١٤١٢ ه، ج ٥ : ١٧٣)

٢-٣- حفظ فواصل الآيات

مراعاة فواصل الآيات وحفظها أحيانا تمهّد نيابة لفظ بدل إستقاقه. على سبيل المثال، ينوب مصدرٌ ثلاثي مزيد عن مصدرٍ ثلاثي مزيد من نفس الأصل. بتعبير أخر، يخرج فعل ثلاثي مزيد من مصدره القياسي إلى مصدر مزيد من ذات ألاصل. الآن نشير إلى نموذج من هذا النوع في القرآن الكريم و نبحث عن دوافعه و اسبابه.

﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ (المزمّل/ ٨)

بالتركيز في هذه الآية، نجد أنّ في مصدر فعل أمر(تَبتَّلْ) نوعاً من الاستبدال؛ هذا يعنى أن انتقل الفعل المذكور من مصدره القياسيّ - تَبَتُّل - إلى مصدر مزيد من نوعه. بتعبير آخر، الأصل هو أن يّذكر (تَبَتُّل) مصدراً قياسيّاً لفعل (تَبَتّلْ)، بينما لفظ (تَبتيل) - وهو المصدر القياسيّ لفعل أمر(بَتّلْ) - ناب عنه. مما لا شك فيه أنّ هذا الاستبدال من (تَفَعُّل) إلى (تفعيل) تمّ بدافع خاص و يحتاج إلى التأمل والدقة، لأنه لم يتمّ بسبب التشابه مع فواصل الآيات السابقة، بل هناك دافع معنوي وراء ذلك. يقول الزمخشري: إذا سألت: لماذا حلّ (تبتيل) بدلاً عن(تَبَتُّل)؟ردّاً على ذلك أقول: "كلاهما لهما نفس المعنى، وبسبب مراعاة فواصل الآيات وحفظها حدثت هذة النيابة" (المصدرالسابق، ج٤: ١٥٣)

من الواضح أنّ الزمخشري لم يقم بجواب مقنع لهذا السؤال؛ لأنه لم يذكر الدافع الرئيسي لهذه النيابة والسرّ الكامن فيها. لكنه اعتبر مراعاة فواصل الآيات سبباً وحيداً لهذا التغيير). كما نعلم، فعل امر(تَبَتَّل) على وزن (تَفَعَّل) و مصدر(تَفَعُّل) يدلّ على معان مختلفة أحدها التكلّف مثل: تَصَبُّر: (الحملاوي، ١٩٩٩م: ٤٣). بالتدقيق في هذا الكلام لابن القيم يمكن القول أنّ القيام التدريجيّ و الصبر الدائم مشهودان في فعل أمر(تَبتَّلْ)؛ بعبارة أخرى، الإنقطاع من غير الله يجب أن يكون بهدوء و بتدريج. و من الطبيعيّ أنّ الشخص

في تنفيذ هذا الأمر يتحمّل الصعاب و المعاناة. من جانب آخر، ذكر المصدر تمّ بمساعدة باب(تفعيل) و أحدُ معاني باب التفعيل -كما قلنا- الدلالة على المبالغة و التكرار و الكثرة؛ بهذا المعني، أنّ عمل الإنقطاع من غير الحق و الإلتحاق بالحق فيما بعد يجب أن يكون بشدة و بكثرة. بعبارة أخرى، يتمّ في البداية بهدوء و ببطء و في النهاية بشدة و كثرة.

جدير بالذكر أنّ سبب بيان الإنقطاع من غير الله بصيغة(تَفَعُّل) هو الإشارة إلى تحمّل العذاب والمشقة في هذا الأمر؛ لأن الإلتحاق بالحق والإنقطاع عن غيره يتطلب الكثير من الجهد والتعب، وبهذه الطريقة يمكن للنفس أن تتعود على الانقطاع من غير الله. كما أنّ ذكر المصدر على وزن (تفعيل) يدلّ على أنّ هذا الميل نحو الله والانفصال عن غيره يجب أن يكون بالمرّات الكثيرة، كما نعلم، لأن أحد معاني مصدر (تفعّل) التعدد والكثرة (المرجع نفسه: ٤٣). بالدقة و التأمل فيما قيل، يمكن الإستنتاج أنّ الإنقطاع من دون الحق والإلتحاق بالحق مبتن على الصبر و التحمل. من الطبيعيّ أنّ هذا الصبر و تحمل المصاعب مع الإنقطاع الكثير و المستمر من غير الحق يمكن أن يهيئ السالك لدعوة الناس إلى الحق.

يقول ابن القيم الجوزية: "احد معاني باب (تَفَعُّل) هو الدلالة على (التدرّج)، و المعنى الآخر لهذا الباب هو (التكلّف). ومن ناحية أخرى، يشير إلى أحد معاني باب (تفعيل) و هو (التكاثر والمبالغة)؛ وكأنه قال الله تعالى في هذه الآية: (بَتِّلْ نفسك إلى الله تَبتيلاً و تَبتَّلْ اليه تَبَتُّلاً) "، يستنتج هذان المعنيان معاً من المصدر المذكور، و جدير بالذكر أن هذه طريقة الاستبدال في القرآن تشاهد بكثرة، ومن أسباب استعمالها الإيجاز والاختصار". (١٩٤٩م: ٥٠١).

بالتدقيق في هذا الكلام لابن القيم يمكن القول أنّ التنفيذ التدريجيّ بصعوبة و الصبر يكمنان في فعل أمر (تَبَتَّل). هذا يعني أنّ الإنقطاع من الله يجب أن يتمّ ببطء وخطوة تلو خطوة. من الطبيعيّ أنّ الشخص في تنفيذ هذا الأمر يجب عليه أن يتحمل المعاناة. من ناحية أخرى، تمّ ذكر المصدر بمساعدة باب (التفعيل) و أحد معاني هذا الباب - كما قلنا - هو المبالغة والتكرار والزيادة؛ وهذا يعني أنّ الانفصال عن غير الحق و الإلتحاق بألحق يجب أن يتمّ بشدة و بكثرة. بتعبير آخر، في البداية يتمّ بشكل هادئ و في النهاية بشدة و بكثرة.

لهذا، في الآية المذكورة، لو استخدم المصدر القياسيّ لفعل (تَبَتَّلْ)-و هو (تَبتُّل)-، لدلّ

على مفهوم (التدَرُّج) و(المشي البطيء) فقط ولم يفهم منه معنى الكثرة و الإزدياد. بينما الهدف الرئيسي هنا هو الإشارة إلى المفهومين المذكورين معاً. بيان هذين المفهومين معاً يحتاج إلى الخروج من المصدر (تَفَعُّل) إلى المصدر (تَفعيل). لهذا، يمكن الإستنتاج أنّ فعل (تَبَتَّلْ) يضمن معنى (بَتِّلْ)، كما أنّ المصدر (تَبتيل) ضمن معنى (تَبَتُّل). وتجدر الإشارة إلى أنه في عملية التضمين النحوي، يتضمن الفعل أو المصدر، إضافة إلى معناه، معنى فعل أو مصدر اخر. . من الطبيعيّ أنّ ذكر معنيين بلفظ واحد تزاماناً مؤثر في تقوية المعني و إيجاد الإختصار و الإيجاز في الكلام.

يمكن القول على العموم أنّ الخروج من (تفعُّل) إلى (تفعيل) في الآية المذكورة ليس فقط لفظيّاً. و إن كانت المشابهه في فواصل الآيات أيضاً احد اسباب هذا النيابة. ولكن جانب المعني مهّد لهذه العملية. بعبارة أخرى، جانب المعني لهذا التغيير الشكلي واضح و جدير بالتأمل بحيث أثر على جانبه اللفظي. لهذا، سبب التغيير في الكلام الإلهي يختلف مع كلام غيره كالشعر و النثر. لأن الشاعر يخرج غالباً في الشعر من لفظ إلى لفظ آخر بسبب قلة القوافي أو ضرورة الوزن. و هذا الخروج لا يتعدّي الجانب اللفظي غالباً. بينما في الكلام الإلهي إضافة إلى الدافع اللفظي لهذا الاستخدام، الدافع المعنوي له الأهمية العالية بالمستوي الرفيع. كذلك يمكن الإشارة إلى هذه الآية من نماذج الخروج من المصدر الثلاثي المزيد إلى المصدر الثلاثي المزيد الآخر من نوعه:

﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّاباً﴾ (النبأ/ ٢٨)

وأيضًا من نماذج الخروج من المصدر الثلاثي المزيد إلى المصدر الثلاثي المزيد من نوعه يمكننا أن نذكر هذه الآية. في الآية المذكورة، الأصل هو أن يذكر لفظ(تكذيب) كمصدر لفعل(كذبوا)، حيث أنّ (كذاب) ذكر كمصدر مزيد أخر من مصادر المزيد لفعل المذكور. لاشك أنّ هذا الخروج له سبب و دافع في حدوثه. اضافة لذلك، خلق المبالغة في لفظ (كذاب) اكثر نسبة من المصدر الرئيسي و هو (تكذيب)(الزمخشري، المصدرالسابق، ج ٤: ١٧٨). من حيث المجموع يمكن القول بأنّ نيابة المصادر بعضها عن بعض، إضافة على تناسق فواصل الآيات، تسبب المبالغة و الإيجاز و الاختصار في الكلام، هذه الطريقة من النيابة توجب اتّساع حقل المعنى و تسبب التشكيلة في الأسلوب.

فإن اسلوب التناوب هو طريقة التعبير التي تنحى بالمصدر من دلالته الوضعية المألوفة والموافَقة للصحة اللغوية إلى دلالته الفنية القائمة على مجاوزة المألوف، والتي يقتضيها السياق والنظم بما يشتمل عليه من قرائن، وهي تلك الدلالة التي لم يكن للكلام أو التعبير أن يستقيم بدونها.

ذكر العلماء عدة تعريفات للفاصلة، ولكنهم اختلفوا في تعريفها بعض الاختلاف، فمن تعريفاتهم: قول الرماني: " الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني"(١٩٧٦: ٨٩) وقول الباقلاني: "الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع، يقع بها إفهام المعاني"، وقول الداتي: "الفاصلة هي الكلام المنفصل عما بعده، والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس آية، وكذلك الفواصل تكون رأس آية وغيرها، فكل رأس آبة فاصلة وليس كل فاصلة رأس آية، ولأجل معنى الفاصلة هذا، ذكر سيبويه في تمثيل القوافي ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ (هود/ ١٠٥) و ﴿مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ (الكهف/ ٦٤) وليسا رأس آية بإجماع، مع "إذا يسر" وهو رأس آية باتفاق "(المصدر السابق : ٥٤)

وليست الفواصل أعم من رؤوس الآي كما ذهب إلى ذلك أبو عمرو الداني، لأن القواصل - في الاصطلاح - هي رؤوس الآي، ولا عبرة ما يقع في داخل الآيات من وقفات يسمونها فواصل داخلية أو لغوية، فالفاصلة لا تكون في سائر الآية كما أن القافية لا تكون في سائر البيت الشعرى ولكن كلاهما في النهاية أو الختام، و يقول ابن منظور: " أواخر الآيات في كتاب الله فواصل بمنزلة قوافي الشعر". (ابن منظور، مادة (فصل))، وقول الزركشي في البرهان - ونقله عنه السيوطي في الاتقان(١٩٧٤م: ٣٣٢) والمعترك (١٩٧٣م: ٢٩): "هي كلمة آخر الآية، كقافية الشعر، و قرينة السجع"، ويضيف الزركشي قوله: "وتقع الفاصلة عند الاستراحة بالخطاب التحسين الكلام بها وهي الطريقة التي يباين بها القرآن سائر الكلام، وتسمى فواصل لأنه ينفصل عندها الكلام، وذلك أن آخر الآية تصل بينها وبين ما بعدها أخذا من قوله تعالى: كتاب فصلت آياته (فصلت/ ٣) ولم يسموها أسجاعا ولا يجوز تسميتها قرافي إجماعا"(المصدر السابق: ٥٤)

ويفهم من هذا النص أنّ الفاصلة تقع في آخر الآية، ويوقف عليها إذ بها يتم الايقاع ويكتمل المعنى، ولا يجوز تسميتها قوافي إجماعا؛ لأن الله تعالى لما سلب عن القرآن اسم

الشعر وجب سلب القافية أيضا لأنها مشاه و خاصة به في الاصطلاح وهذا ثابت بالنص الصريح، ومتى انتفى عنه الشعر التفت القافية تبعا لذالك. وقول الطاهر بن عاشور: "هي الكلمات التي تتماثل في أواخر حروفها أو تتقارب... والعبرة فيها بتماثل صيغ الكلمات من حركات و سكون وهي أكثر شبها بالتزام ما لا يلزم في القوافي، وأكثرها جار على أسلوب الأسجاع... وكلها منتهي آيات. . "(ابن عاشور، ١٩٨٤م، ج١: ٧٥)، ومن تعريفات المحدثين قول الدكتور أحمد بدوي: "تلك الكلمة التي تختم بها الآية من القرآن" (١٩٥٠: ٧٥)

ونلاحظ في جملة التعريفات السايقة أنها تتفق في الخصائص الآتية:

١- موقع الفاصلة في آخر الآية

٢- وجود التشاكل بين حروفها ومقاطعها

٣- دورها في تحسين المعني

٤- دورها في الاستراحة في الخطاب.

ونستطيع أن نستخلص من جملة التعريفات السابقة تعريفا للفاصلة: الفواصل هي الكلمات التي تقع في نهاية الآيات وقد تتماثل في أواخر حروفها أو تتقارب ويحسن الوقف عندها حيث يستدعيها السياق مبني ومعنى لأن وجودها به ومن أجله وهي تفصل بين معنيين إما فصلا تاما أو غير تام بمعنى أنه قد ينتهي المعتي عقدها أو لا ينتهي .

نقل السيوطي عن الجعيرى في معرفة فواصل الآي قوله: "لمعرفة الفواصل طريقان: توقيفي وقياسي...

أما التوقيفي: فما ثبت أنه لا وقف عليه دائما تحققنا أنه فاصلة (روى أبو داود عن أم سلمة لما مثلت عن قراءة رسول الله قالت: كان يقطع قراءته آية آية". وقرأت: بسم الله الرحمن الرحيم إلى "الدين" تقف على كل آية، (١٩٥٢، ج١: ١١٠) وما وصله دائما تحققنا أنه ليس بفاصلة، وما وقف عليه مرة، ووصلة أخرى احتمل الوقف أن يكون لتعريف الفاصلة، أو لتعريف الوقف التسام، أو للاستراحة، والوصل أن يكون غير فاصلة، أو فاصلة وصلها لتقدم تعريفها. وأما القياسي: فهو ما ألحق من المحتمل غير المنصوص بالمنصوص المناسب. ولا محذور في ذلك؛ لأنه لا زيادة فيه ولا نقصان، وإنما غايته أنه محل فصل أو وصل، والوقف

على كل كلمة جائز، ووصل القرآن كله جائز، فاحتاج القياسي إلى طريق تعرفه؛ فنقول: فاصلة الآية كقرينة السجع في النثر، و قافية البيت في الشعر؛ وما يذكر من عيوب القافية من اختلاف الحذو والإشباع و التوجيه. جدير بالذكر أنّ الحذو والإشباع و التوجيه من عيوب القافية، التي تندرّج تحت ما اصطلحوا على تسميته بالسناد متل كسرة الهاء وفتحة العين في قولك "مجاهد وتباعد". و سناد الحذو اختلاف حركة الحرف الذي قبل الروي المطلق، مثل فتحة النون وكسرة الكاف في قولك: "سند و كد". و سناد التوجيه. اختلاف حركة الحرفية التي قبل الروي المقيد، كفتحة اللام وضمها في قولك: "حلم و حلم" (الهاشمي، ١٩٧٩: ١٢٩)، فليس بعيب في الفاصلة، وجاز الانتقال في الفاصلة والقرينة و قافية الأرجوزة؛ من نوع إلى آخر؛ بخلاف قافية القصيد "(الملائكة، ١٩٦٧م: ١٦٢).

النتائج:ـ

١- تتمتع اللغة العربية من قوه وفيرة في مجال نيابة المصدر عن الصيغة ذات الأصل الواحد. اذا م يستقرّ المعنى في الظرف المحدّد لصيغة، تغيّرت البنية و ظهرت بشكل المصدر. و قد تجلّي هذا بشكل جميل في القرآن، لأنّ التعبير عن المعاني العميقة لا يمكن بالبنية العادية بوضوح.

٢- للمصدر علاقة وثيقة مع فهم معاني الآيات القرآنية. لهذا، قام المفسّرون بالبحث حوله و درسوا معانيه المختلفه و دلائله الإعجازية في الآيات القرآنية.

٣- انّ القاري في ضوء سياق الكلام - التي أجمعت القرائن اللفظية والمعنوية في بطنها - يمكنه أن يدرك وجود نيابة المصدر بدل الصيغة ذات الأصل الواحد.

٤- يبدو أنّ دوافع كالتعبير المتزامن لمعنيين لازم ومتعدّي، وتوسيع حقل المعنى ومراعاة الفواصل في الآيات القرآنية، قد مهّدت الطريق لنيابة المصدر بدلاً من الصيغة ذات الأصل الواحد في القرآن.

٥- خلق المبالغة والدقّة في الوصف من دلالات المهمّة لنيابة المصادر بدلاً من الصيغ ذات الأصل الواحد في القرآن.

٦- إحدى الطرق الشائعة للمبالغة هي استخدام صيغة المصدر بدلاً من أحد اشتقاقاته؛ لأنّ ذكر كلمة المشتق يعبّر عن معناها الحقيقي ولا يتعدّى المستوى العادي. اضافة

على ذلك، فإنّ ذكر المصدر في هذه النيابة يرفع المعنى إلى قمة المبالغة؛ بحيث لا يمكن هذا الأمر باستخدام مشتقّ آخر.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتديء به القرآن الكريم

١. ابن جني، ابوالفتح عثمان:اللمع في العربيه، التحقيق:فائز فارس،دارالكتب الثقافة،الكويت، ١٩٧٢م

٢. ابن عاشور، محمد الطاهر: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر،١٩٨٤ م

٣. ابن‌عقيل، بهاء الدين عبدالله بن‌عقيل: شرح ابن‌عقيل على ألفية ابن‌مالك، التصحيح: محمد محيي الدين عبدالحميد، تهران:منشورات استقلال. ١٣٨٣ه.ش

٤. ابن القيم الجوزية، أبو عبد الله شمس الدين: تفسير القيم، التحقيق: محمّد أويس الندوي، مطبعة السنّة المحمّدية، ١٩٤٩م

٥. ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل: لسان العرب، التحقيق: أمين محمد عبد الوهاب و محمد صادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٩٩٩م

٦. أبو حيان الأندلسي،محمد بن يوسف: البحر المحيط، دارالفكر، بيروت، ١٩٩٢م

٧. بدوي، أحمد أحمد:من بلاغة القرآن، ط٣، مكتبه نهضه مصر، القاهرة، ١٩٥٠م

٨. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود: معالم التنزيل، التحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر، الرياض، ١٤١٢ه

٩. الحملاوي،أحمد بن محمد: شذا العرف في فن الصرف، التحقيق: حسني عبدالجليل، مكتبة الآداب،القاهرة،١٩٩٩م

١٠. الرماني،أبو الحسن: النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)،المحقق: محمد خلف الله و محمد زغلول سلام،دار المعارف، مصر، ١٩٧٦م

١١. الزركشي، بدر الدين بن محمد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن،التحقيق:محمد أبو الفضل ابراهيم،مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، (د.ت)

١٢. الزمخشري، محمود بن عمر: الكشّاف، دار الريان للتراث، الطبعة الثالثة، ١٩٨٧م

١٣. السامرائي،فاضل صالح: الجملة العربية و المعني، ط ١، دار ابن حزم، بيروت،٢٠٠٠م

١٤. السامرائي،فاضل صالح: معاني الأبنية، ط١، جامعة بغداد، ١٩٨١م،

١٥. السامرائي،فاضل صالح: معاني النحو، ط١،دارالسلاطين، عمان، ٢٠١٠م

١٦. سيبويه،ابوبشرعمرو:الكتاب، التحقيق:عبدالسلام هارون، دارالجبل،بيروت، (د.ت)

١٧. السيوطي،جلال الدين: الإتقان في علوم القرآن،المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤ م

١٨. السيوطي،جلال الدين: معترك الأقران في إعجاز القرآن، التحقيق: البجاوي، دار الفكر العربي، بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٧٣م

١٩. الطبري، جعفر بن جرير: جامع البيان في تفسير القرآن، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م

٢٠. المبرّد، ابوالعباس محمد بن يزيد: المقتضب، التحقيق: محمد عبدالخالق عضيمة، (د.ن)، القاهرة، ١٣٨٦ هـ.ق

٢١. الملائكة، نازك: قضايا الشعر المعاصر، ط٢، منشورات مكتبة النهضة ببغداد، ١٩٦٧م

٢٢. الهاشمي،احمد: ميزان الذهب، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٩م